ويقول للملئكة يوم القيمة بعد ما يقدم فرعون قومه ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اى عذاب جهنم فانه اشد
ما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وكقوله تعالى فصب عليهم ربك سوط
عذاب اى عذابا دايما يشير به الى فرعون ومن ذكر قبله من الكفرة والآيات فى الباب كثيرة والله الهادى
والثالث ان اقرار فرعون كان تقليدا فانه قال لا اله الا الذى امنت به بنو اسرايل ولم يقل امنت برب العالمين
رب موسى وهارون كما قال السحرة فكانه اعترف بانه لا يعرف الله وانما سمع من بنى اسرايل ان للعالم الها فاقر
بذلك الاله الذى سمع من بنى اسرايل انهم يقرون بوجوده وهذا محض التقليد قيل انه كان من الدهرية
المنكرين لوجود الصانع وفى القاموس الدهرى بفتح وبضم القايل ببقاء الدهر ولهذا كان يدعى الربوبية
ومثل هذا الاعتقاد الفاحش لا يزول الا بالحجة القطعية اليقينية لا بالتقليد المحض والرابع ان بعض بنى
اسرايل كانوا يقولون بالتشبيه والتجسيم ولهذا اشتغلوا بعبادة العجل لظنهم انه تعالى فى جسده كالعجل
فلما قال فرعون امنت بالذى آمنت به بنو اسرايل فكانه امن بالاله الموصوف بالجسمية والحلول ومن اعتقد
ذلك فهو كافر فلذلك ما صح ايمانه والخامس ان الايمان انما يتم بالاقرار بوحدانية الله تعالى والاقرار بنبوة
موسى عليه السلام فلما اقر فرعون بالوحدانية ولم يقر بنبوة موسى لم يصح ايمانه كما لو قال الكافر الف مرة اشهد
ان لا اله الا الله لم يصح ايمانه حتى يقول معه واشهد ان محمدا رسول الله فكذا ههنا قال الاستاذ فدلت
هذه الاية ان ايمان البأس ومعاينة العذاب غير مقبول وفى توبة البأس خلاف بين العلماء والاصح قبولها
لانبساط المعرفة السابقة بالايمان فى المؤمن بخلاف الكافر فانه لا معرفة له مع ربه حتى ينبسط عند البأس
فيرد ايمانه عليه والحاصل ان ايمان الكافر وتوبته عند معاينة الملئكة والعذاب غير مقبولة ويدل عليه قوله
تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقيل ان فرعون قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به
من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله والاعتراف له بالربوبية لا جرم لم ينفعه
ما قال فى ذلك ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين اغلق بابها لحضور الموت ومعاينة الملئكة قيل
آلآن قال البيضاوى اى اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار انتهى قال السمرقندى
اى آتؤمن فى هذا الوقت حين عاينت العذاب وقد عصيت قبل نزول العذاب وهذا موافق لقوله تعالى
وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن والقرآن يفسر بعضه
بعضا انتهى وفى المدارك اتؤمن الساعة فى وقت الاضطرار حتى ادركك الغرق وايست من نفسك وقيل
قال ذلك حين الجمه الغرق والعامل فيه اتؤمن انتهى وفى الغاية اتؤمن الآن وقد عصيت مدة عمرك
انتهى قال ابو السعود وقوله الآن مقول لقول مقدر معطوف على قال اى فقيل الآن وهى الى قوله تعالى
آية حكاية لما يجرى منه تعالى من الغضب على المخذول ومقابلة ما اظهر بالرد على وجه الانكار والتوبيخ
على تاخيره وتقريعه بالعصيان والافساد وغير ذلك وفى حذف فعل المذكور الخبر المحكى فى صورة الانشاء
من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما يفصح عنه ما روى من ان جبريل دس فاه عند
بحال البحر وسده به فانه تاكيد للرد القولى بالرد الفعلى ولا ينافيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما
نقل انه قال النبى صلى الله عليه وسلم فلو رايتنى يا محمد وانا اخذ من حال البحر فادسه فى فيه مخافة ان تدركه
الرحمة الدنيا وبه اى النجاة التى هى طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما فى ايمان قوم
يونس

يونس عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور فى شان جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر
اذ لا استحالة فى ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك فى حالة البأس
واليأس فيحمل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد
فتدبر وحق العامل فى الظرف ان يقدر موخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تاخيره الايمان
الى حد يمتنع قبوله فيه اى الآن تؤمن حين يئست من الحياة وايقنت بالممات انتهى وقد عصيت
قبل اى قبل هذا الوقت مدة عمرك وكنت من المفسدين اى من الضالين المضلين عن
الايمان لقوله تعالى واضل فرعون قومه وما هدى قال الاستاذ قوله وقد عصيت حال من فاعل
الفعل المقدر جىء به لتشديد التوبيخ والتقريع على تاخير الايمان الى هذا الآن ببيان انه لم يكن
تاخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتامل والتدبر فى دلايله واياته ولا لشىء آخر مما عسى
يعد عذرا فى التاخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان قوله وكنت
من المفسدين عطف على عصيت داخل فى حيز الحال اى وكنت من الغالين فى الضلال والاضلال
عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون وهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والسارى الى غيره من الظلم والتعدى وصد
بنى اسرايل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به وفى اللباب الآن تتوب وقد اضعت
التوبة فى وقتها واثرت دنياك الفانية على الاخرة الباقية والخاطب لفرعون بالآن هو جبريل
على المشهور وقيل ان القايل هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد
فى الارض ويدل على هذا القول قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك اى نخرجك من البحر بجسدك
عاريا بلا روح ونبعدك مما وقع فيه قومك من قعره ونجعلك على نجوة اى مكان مرتفع من
الارض ليراك بنو اسرايل وفى التعبير عنه بالتنجية تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة والخلاص
لا الايمان الحقيقى فالخطاب بننجيك على سبيل التهكم والاستهزاء كانه قيل ننجيك ولكن هذه
النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقرا يعقوب ننجيك من الانجاء وقرى ننحيك اى نلقيك
بناحية الساحل قال الشيخ قوله ببدنك فى موضع الحال من ضمير المخاطب اى ننجيك مصاحبا لجسد
عاريا عن الروح او كاملا سويا لم ينقص منه شىء ولم يتغير او بدرعك وكان له درع مشهور
من الذهب مرصع بالجواهر يعرف به وقرى بابدانك اى باجزاء بدنك كلها وقيل اتاه
جبريل يوما برقعة فيها ما قول الامير فى عبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته ثم لم يطلب من ذلك
منه شيئا سوى انه يقر بانه عبده فابى وادعى السيادة دونه فكتب على الرقعة يغرق فى البحر
ابو العباس وليد بن مصعب فلما ادركه ناوله الرقعة فآمن كمن امن بعد طلوع الشمس من
مغربها قال الله تعالى فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك
ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله الاية قال الشيخ وقد علم جبريل من الله عز وجل
بان عدوه يموت كافرا ولا ينفعه ما جاء به من التوحيد وذلك كمن راى شخصا يصلى بلا وضوء
فقطع صلاته وفى الغاية اى نلقيك فى نجوة من الارض خاليا من الروح ليراك بنو اسرايل على

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)